

الإظهار في ترجمة فكر مالك بن نبي: استراتيجية تغريب أم توطين

Explicitation in Translating Malik Bin Nabi's Thought: Is It Foreignization or Domestication Strategy

الزهراء بورزق

Zahra BOUREZG

معهد الترجمة، جامعة الجزائر 2 (الجزائر)، zahra.bourezg@univ-tebessa.dz

تاريخ النشر: 2024/12/17

تاريخ القبول: 2024/11/25

تاريخ الاستلام: 2024/09/29

ملخص:

في إطار بحثنا حول ترجمة الإظهار والإضمار في فكر مالك بن نبي، نجد أن نصوصه تنتمي لفكر التجديد، حيث يسعى من خلالها لتحليل مشكلات الأمة الإسلامية وإيجاد الحلول من خلال العودة إلى مبادئ الإسلام. وتتميز كتاباته بالاستشهاد بالقرآن والسنة، كما تمثل مفرداتها التي تحمل دلالات ضمنية تحدياً للمترجمين إما بالحفاظ على جوهر النص وإما بتقديمه بشكل يتناسب مع القارئ الهدف. هذا ما جعلنا نطرح الإشكالية التالية: هل أن الإظهار في ترجمة فكر مالك بن نبي استراتيجية تغريب أم توطين؟ يهدف هذا المقال إلى تحديد أي هذه الاستراتيجيات أنسب لترجمة هذا الفكر، وبعد الدراسة الوصفية التحليلية والوقوف على أهم ما ورد في الحقل الترجمي عن الإظهار كأسلوب من أساليب الترجمة بتقنياته المختلفة وما ورد أيضاً عن استراتيجيتي التوطين والتغريب توصلنا إلى نتيجة مفادها أن استخدام الإظهار لترجمة المضمير في فكر مالك بن نبي يمكن تطبيقه في رحاب استراتيجية التغريب للحفاظ على غيرية النص من جهة وإيضاح المضمير من القول للمتلقي من جهة أخرى.

كلمات مفتاحية: الإظهار، التغريب، التوطين، مالك بن نبي، فكر التجديد

Abstract:

The study delves into Malek Bennabi's thought, which advocates for Islamic revival through a return to foundational principles. It highlights the intricate language in Bennabi's work, laden with Quranic and Sunnah references, posing a challenge for translators to convey the implicit meaning without losing the text's essence. It aims to shed light on the suitable strategy used with explicitation to translate the thinker's books. The central question addressed is the following: Is explicitation in translating Malik Bin Nabi's Thought a foreignization or a domestication Strategy? A descriptive analytical study had been conducted. The conclusion drawn is that foreignization serves to retain the distinctiveness of Bennabi's thoughts, while also elucidating the implicit messages for readers.

Keywords: Explicitation, Foreignization, Domestication, Malek Bennabi, Renewal Thought

1. مقدمة

لقد اهتم المفكر والفيلسوف الجزائري مالك بن نبي بمشكلات الحضارة في العالم الإسلامي عامة والعربي خاصة، وحاول جاهدا أن يناقش أفكاره الفلسفية حول الحضارة والتي نشأت من فلسفته الخاصة عن الإنسان والوقت والتراب والتي تعد أطراف معادلة الحضارة عند المفكر. كان هدفه من خلال ذلك بعث فكر التجديد في روح وجسد الأمة الإسلامية لتنهض وتسقط شمسها من جديد، وكانت ظروف ومكان نشأة هذا الفيلسوف في بلده الأم الذي كان يئن تحت وطأة الاستعمار ويعاني أزمات شتى على مختلف الأصعدة، ثم سفره وعيشه في البيئة الغربية ومحاولته التعمق في فلسفة الحضارة عند الغرب الذي كان يعيش حياة السيطرة والترف - سببا جعله يقف موقف القارئ المحلل والمشخص لأسباب الضعف والوهن والمرض الذي ينخر جسد وروح العالم الإسلامي، ليحاول بعدها تقديم الوصفة التي تأتي بالترقياق لحل مشكلاته، رافضا في الوقت نفسه بأن تكون هذه الوصفة مستوردة من أصول فلسفة الحضارة الغربية، ونوه إلى مدى خطورة تقليدها كون مبادئ المجتمعين وثقافتهم وظروفهما في شتى المجالات تختلف اختلافا واضحا.

وعليه نجد أن مالك بن نبي الذي كان يكتب بالقلم الفرنسي في أغلب مؤلفاته - إلا أنه اعتمد على قواعد ومبادئ إسلامية بحتة ليعالج المشاكل الاجتماعية والسياسية والثقافية والاقتصادية والدينية للمجتمع الإسلامي.

إن القارئ المتمعن لمؤلفات هذا المفكر الفيلسوف يجدها محملة بقدر كبير من المعاني الضمنية التي يريد الكاتب أن ينقلها إلى القارئ بقصد إحياء روح الفرد المسلم من جديد والتخلص من عقدة الدونية والقابلية للاستعمار حتى يتمكن المجتمع الإسلامي من بعث حضارته الإسلامية من جديد، ويورد الكاتب هذه المعاني الضمنية المحملة بدلالات إيجابية مقصودة وهادفة على عدة أوجه كالاقتباس من القرآن الكريم أو الحديث مثلا أو بالاستشهاد بأمثلة وقصص من البيئة المعيشة أو باستعمال أساليب البلاغة اللغوية قصد التعبير على الفكرة المراد إيصالها للقارئ بطريقة أكثر فاعلية وتأثيرا في فكر وروح الفرد، فهي مؤلفات مشحونة ثقافيا وإيديولوجيا ودينيا.

وبما أن الترجمة هي ذلك العلم والفن الذي يحوز تأشيرة الدخول لكل علم أو أدب أو فلسفة على حد سواء لأنها بمثابة ذلك الجسر الذي تنتقل عبره المعارف وكتابات المؤلفين من موطنها الأصلي إلى مختلف ربوع العالم، فلولا الترجمة ما كنا لتتعرف على علوم الإغريق مثلا ولا على روائع الأدب العالمي وما كنا أيضا لنلج إلى عالم الفلسفة اليونانية. ولا تزال الشعوب إلى يومنا هذا تنهل معارف بعضها البعض بواسطة الترجمة.

وهو الحال بالنسبة إلى مؤلفات مالك بن نبي التي أعطتها الترجمة رواجاً عالمياً، فعلى الرغم من أنها لم تحظ بدرجة كبيرة من الاهتمام في بلدان العالم العربي على غرارها الجزائر، إلا أننا نجد أن هذه الأعمال كانت مصدر إلهام لقيام وتطور دول كثيرة في عصرنا الحالي مثل سنغافورة وماليزيا وإندونيسيا والتي تبنت فكر مالك بن نبي لقيام بلدانها ونهضة شعوبها والسير بها نحو النمو ومواكبة عجلة التطور.

ولعل الإشكالية الرئيسة التي جعلتنا ننجز هذه الورقة البحثية هي: هل أن الإظهار كتقنية متبناة لترجمة المعاني المضمرّة في نصوص مالك بن نبي هي تجسيد لإستراتيجية التغريب أو التوطين؟

2. التعريف بالمفكر وفكره

1.2. التعريف بمالك بن نبي

هو مالك الحاج عمر بن لخضر بن مصطفى بن نبي، ولد عام 1905 في قسنطينة شرق الجزائر العاصمة، وكانت مراحل دراسته الأولى (الابتدائية والثانوية) ينتقل فيها بين مدينتي تبسة وقسنطينة حيث أكمل دراسته الثانوية في قسنطينة بالمدرسة المزدوجة الفرنسية الإسلامية على أيدي فرنسيين وجزائريين، كان والده موظفا بسلك القضاء ما جعله يستقر في ولاية تبسة في الوقت الذي كان فيه مالك يزاوّل دراسته القرآنية والابتدائية بالمدرسة الفرنسية.

وفي سنة 1925 سافر بن نبي إلى فرنسا للبحث عن العمل، ولكنه عاد إلى مدينة تبسة التي اشتغل بها مساعد كاتب في المحكمة ما جعله يندمج ويتعامل مع مختلف طبقات المجتمع ويتعرف على مشاكلها ومخلفات المستعمر فيها. في سنة 1928 بعد أن استقال من منصبه بالمحكمة واشتغل بالتجارة -ولكنه لم ينجح-، اتجه من جديد نحو باريس للالتحاق بمعهد الدراسات الشرقية كلية الحقوق، ولكن خابت آماله مرة أخرى فالتحق بمدرسة اللاسلكي التي تخرج منها مهندسا كهربائيا سنة 1935.

لقد كان لمسار تكوينه العلمي أثر واضح في طريقة تفكيره الفلسفية في مختلف المشاكل التي كانت تعيشها الشعوب المستعمرة، إضافة إلى ظروف تكوينه المزدوجة بين بيئة عربية مسلمة تأثر فيها بأبرز مصادرها القرآن والحديث وأبرز أعلامها كابن خلدون والأفغاني، وبيئة غربية مستعمرة ومهيمنة طابعها المدني في غاية الرقي، فقرأ وتمعن أيضا هذه البيئة كما تأثر ببعض مفكراتها أمثال ديكارت **Descartes** وتوينبي **Toynbee**. لقد كان بذلك فكره فكرا تحريريا واعيا يدعو إلى التجديد ويناهض الاستعمار والقابلية للاستعمار. حين عودته إلى الجزائر مارست عليه فرنسا كل طرق المضايقة كي لا يوظف في المناصب الحكومية فقرر بذلك السفر إلى مصر سنة 1956 التي استقر بها ليواصل نشاطه الفكري الإصلاحي، ثم عاد إلى أرض الوطن سنة 1963 فتولى منصب مدير التعليم العالي سنة 1963 واستقال منه سنة 1967 وتفرغ بعدها إلى التأليف وإلقاء محاضراته الأسبوعية حتى توفي رحمه الله في 31 أكتوبر 1973 في الجزائر العاصمة. (مسعودان ن.، الصفحات 3-4)

2.2. فكر التجديد عند مالك بن نبي

تعتبر مؤلفات مالك بن نبي نصوصا فكرية لا يمكن تصنيفها لا مع الأعمال الأدبية التي تعتمد على لغة الخيال والعاطفة ولا مع الأعمال الفلسفية التي تحاكي وتناقش مسائل ما وراء الطبيعة باستعمال لغة راقية مترفعة مرهقة، بل اعتمد فيها الكاتب على أسلوب وظف فيه اللغة القادرة على استيعاب مدى قلقه الفكري والمعرفي ليخاطب بها عقل وروح الفرد المسلم ليبني نفسه من جديد، ويقول مُجدّ دبور شيخ عن لغة النص الفكري ما يلي: هي لغة تنبض بالحياة، تنزل إلى الشارع لتعانق قلوب أولي الألباب، فتزين في قلوبهم، وتنفض الغبار عن عقولهم إن كانت متحجرة أو متكلسة،

بل تنفث فيها الحياة فتولد إذ ذاك الفعل والعمل وهو الغاية المثلى من هذا النوع من النصوص. (شيخ، 2018، صفحة 47)

إن هذا التعريف نجده ينطبق على مؤلفات بن نبي التي حاول فيها المفكر الفيلسوف أن يشخص أسباب ضعف وتخلّف المجتمع الإسلامي من خلال التحليل والوصف والتدقيق ثم التفسير ليحاول في كل مرة استخلاص النتائج وإعطاء الحلول التي تعيد أمجاد الحضارة الإسلامية إيماناً منه بأن التغيير يكون من داخل الفرد نفسه لقوله تعالى "إن الله لا يغير ما يقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم". (سورة الرعد، الآية 11)، فإن آمن الفرد بنفسه فستكون حتماً قدرته فعالة على إحداث التغيير ولا يكون ذلك إلا بالتخلص من عقدة "قابلية للاستعمار" التي يراها بن نبي بأنها العامل الأول والأساسي في ضعف ووهن وتخلّف العالم الإسلامي ومكوّنه لقرون تحت براثن الاستعمار. ويقول د. الهراس في هذا الصدد نقلاً عن إحسان عبد القدوس في مقال نشره في مجلة روز اليوسف بعنوان "الاستعمار في نفوسنا" وهو سرد لما جاء على لسان مالك بن نبي في حوار دار بينهما: "إن العرب أو المسلمين ظلوا نصف القرن أو أكثر يحاربون الاستعمار ولم يلتفتوا إلى أنفسهم لتجفيفها وتطهيرها من القابلية للاستعمار، فالاستعمار هو عرض فقط، والمرض هو القابلية، فبدلاً من أن أصب جهودي لإزالة الاستعمار، يجب قبل كل شيء أن أزيل من وجداني ومن نفسي ومن روحي القابلية للاستعمار...". (مسعودان ن.، صفحة 34)

ومن خلال هذا القول يمكننا استنتاج اختلاف مفهوم الاستعمار عند بن نبي عن المفكرين الآخرين إضافة إلى اختلاف وجهات نظره في مفاهيم أخرى وطرق تحليلها وتفسيرها. فمالك بن نبي له فلسفة خاصة به في كيفية إعادة البناء للنهوض بالأمة الإسلامية في مختلف ميادين الحياة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية ... إلخ. وتصب كل هذه الفلسفات المتعددة الميادين والمجالات في فلسفة الحضارة، كون الحضارة بالنسبة إليه هو مفهوم واسع وشامل تولدت عنه وتولد عن فلسفات أخرى على غرار فلسفة الإنسان وفلسفة الوقت وفلسفة التراب أطراف معادلة الحضارة عنده.

فالقارئ والمتمعن في مؤلفات هذا المفكر يجد أن فلسفته اختلفت عن فلسفة الغربيين لمفهوم الحضارة وذلك راجع إلى مبادئه وظروف ومكان نشأته وتعلمه، وهذا راجع لاختلاف دلالات هذه المفاهيم بين الدول المتقدمة والدول المتخلفة وبين الدول المستعمرة والدول المستعمرة وبين الدول الشرقية والدول الغربية مما يجعل مترجم هذه الأعمال في مكابدة لا يحسد عليها.

وانطلاقاً من هذا الأساس يعزز في أذهاننا إعادة طرح إشكالية هذه الورقة البحثية حول استراتيجية ترجمة أهم مفاهيم فكر التجديد عند بن نبي كالحضارة والثقافة والأفكار بأنواعها وفقاً لتسمياته المختلفة والخاصة به وما تحمله من معانٍ ضمنية على غرار الأفكار الحية والأفكار الميتة والأفكار المميّنة والأفكار المتجسدة والأفكار المجردة... إلخ وكيف يتم

إظهار تلك الدلالات الضمنية للقارئ وهل إن المترجم ملزم ومقيد بإجبارية الغربة التي تفرضها استراتيجية التغريب أم أن استراتيجية التوطين تشفع له حرية التأويل والإظهار وهل إن إظهار المضرر توطين أم تغريب؟

3.2. مفهوم التجديد الحضاري عند بن نبي

إن التجديد الحضاري مصطلح مكون من جزأين ألا وهما التجديد والحضارة وقد كانت نظرة بن نبي لهذين المفهومين مختلفة اختلافا واضحا عمن سبقوه من مفكرين ومصلحين في الوطن العربي والعالم الإسلامي. فالتجديد عند بن نبي هو مشكلة مطروحة للبحث في أسباب ضعف ووهن الفرد المسلم الذي ذاع صيت حضارته في قرون مضت وذلك منذ بعثة سيدنا محمد صل الله عليه وسلم، فقوم وعدل الأفكار وعقيدة الأفراد فاستقامت بذلك أخلاقهم والجانب الروحي فيهم وانعكست مظاهر ذلك على مختلف جوانب الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية ... إلخ. أفلت بعدها شمس هذه الحضارة وعن سبب هذا الضعف والوهن يقول المفكر: "ضعفنا الداخلي هو سبب ضعفنا". (بن نبي، تأملات، 1986، صفحة 96) وانطلاقا من هذا المبدأ تعمق المفكر في تحليل أسباب العلة لتشخيصها وتفسيرها وتقديم الحلول فكانت طرق التحليل مختلفة عن سابقه الذين لطالما ألقوا اللوم على المستعمر وعلى سياساته المنتهجة في البلاد المستعمرة أمثال الأفغاني وسيد قطب الذين رأوا بأن تغيير الأوضاع إلى الأحسن يتحقق بتغيير النظام السياسي للبلاد، إلا أن مالك بن نبي اهتم بعامل جد أساسي في هذه القضية لمعالجتها ألا وهو العامل النفسي وأنه متى تخلص الفرد العربي والمسلم من عقدة الدونية والقابلية للاستعمار التي جعلته يتخلى عن مبادئه وينصاع وراء المخلفات المادية لحضارة الغرب فإنه سيعيد لا محال أمجاده ويبنى حضارته مجددا وهو ما حدث مع الفرد المسلم سابقا مع البعثة المحمدية، فقوم الإسلام أخلاقهم وسقل طباعهم وصوب معتقداتهم فتكونت بذلك حياتهم الروحية على أسس صحيحة صلبة زودتهم بالطاقة للعمل في مختلف المجالات والعلوم.

وهنا يمكننا القول بأن التجديد بالنسبة لبن نبي يقوم على ترميم وإصلاح الجانب الروحي الذي يعد بمثابة الأساس للبناء والتأسيس من جديد وأن هذا الترميم والإصلاح لا بد أن يقوم على أسس الدين الإسلامي لأنه هو الذي يتوافق مع مجتمعاتنا وبيئتنا ولا يجب أن نستورد حلولاً أجنبية لحل مشاكلنا وفي هذا الصدد يقول المفكر: "نستطيع أن نقرر بصفة عامة أن من المخاطرة أن تقتبس حلاً أمريكياً أو حلاً ماركسياً، كيما نطبقه على أية مشكلة تواجهنا في العالم العربي والإسلامي، لأننا هنا أمام مجتمعات تختلف أعمارها وتختلف اتجاهاتها وأهدافها ...". (بن نبي، مشكلة الثقافة، 2019، صفحة 37)

وأما الحضارة حسب منظور بن نبي فهي: "جملة من العوامل المعنوية والمادية التي تتيح لمجتمع ما أن يوفر لكل فرد من أعضائه جميع الضمانات الاجتماعية اللازمة لتقدمه ...". (بن نبي، تبسيط مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، 1997، صفحة 19)

ويعرفها أيضا على أنها "إنتاج فكرة حية تطبع على مجتمع معين يكون في مرحلة ما قبل التحضر - الدفعة الحضارية التي تجعله يدخل التاريخ، فيبني نظامه الفكري طبقا للنموذج المثالي الذي اختاره..." (بن نبي، تبسيط مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، صفحة 19)

ومن خلال هذين التعريفين نخلص إلى حقيقة مفادها أن الحضارة عند بن نبي تتكون من جانبين مادي ومعنوي، أما الجانب المعنوي فيتمثل في عالم الأفكار ويجب أن تكون أفكارا أصلية حية تتميز بها مجموعة بشرية معينة عن باقي الشعوب لتحقيق بها الجانب المادي والذي يتمثل في عالم الأشياء وهو مجموعة الإنجازات الملموسة الناتجة عن تجسيد لعالم الأفكار. ليتحقق ذلك لابد من توفر عناصر الحضارة الثلاثة والتي يلخصها بن نبي في المعادلة الآتية: حضارة = إنسان + تراب + وقت.

ويقتر بن نبي بأن مظاهر حضارات الأمم تختلف باختلاف اهتمامات شعوبها فإما أن يطغى عليها الجانب المادي نظرا إلى الاهتمام بعالم الأشياء وإما أن يسودها الجانب المعنوي نظرا للاهتمام بعالم الأفكار والجانب الروحي وعلى غرار الحضارة العربية والإسلامية.

ويقول بن نبي في هذا الصدد "إن لكل حضارة نمطها وأسلوبها وخيارها، وخيار العالم الغربي ذي الأصول الرومانية الوثنية قد جنح بصره إلى ما حوله مما يحيط به: نحو الأشياء... بينما الحضارة الإسلامية عقيدة لتوحيد المتصل بالرسول قبلها، نسج خيارها نحو التطلع الغيبي وما وراء الطبيعة: نحو الأفكار..." (بن نبي، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، 2000، صفحة 07)

لذلك يرى بن نبي بأن التجديد الحضاري هو ضرورة ملحة يجب بعثها في فكر وروح الفرد العربي المسلم وذلك عن طريق ضبط أفكاره وعقيدته وسلوكاته وتصرفاته. وفقا للتعاليم الواردة في القرآن الكريم وسنة نبينا محمد صل الله عليه وسلم. إن بذرة التجديد هذه يجب غرسها في روح وفكر الفرد أولا لتنتشر بعدها في المجتمع والأمة وتتكون بذلك الحضارة الحقة بمظهرها الروحي والمادي، ويقول جيلالي بوبكر في مقال له عن الإصلاح والتجديد الحضاري لدى محمد إقبال ومالك بن نبي: "أن الحضارة تشترط التغيير على أساس القاعدة الإلهية، والتغيير مجاله النفس أولا ثم المحيط الخارجي ثانيا..." (بوبكر، 2014)

إن قيام الحضارة الحقة والتجديد الحضاري لا يمكن إلا بإحداث التغيير من داخل الفرد حتى يكون فردا متشعبا روحيا وصلبا أخلاقيا ونفسيا واثقا من نفسه ومبادئه ومتخلصا من أي عقدة دونية أمام الآخر وفي هذه المرحلة فإن أفراد الشبكة الاجتماعية ستعمل مع بعضها البعض وبصفة متكاملة ومنسجمة في خلق عالم الأفكار الخاص بهم ثم تجسيده في عالم الأشياء وهذا ما يسميه بن نبي "بالبناء الحضاري" أما استيراد المظاهر المادية من البلدان المتقدمة فهو ليس إلا تكديسا أو ما يطلق عليه "بحضارة الشيئية" "La civilization choseiste" التي يعيشها عالمنا العربي اليوم.

فالبناء الحضاري عند بن نبي لا يقاس بما تخلفه الحضارة من إنتاج مادي في مختلف الميادين كالصناعة والعمارة والهندسة والزراعة والتطورات التكنولوجية ... إلخ، وإنما يقاس حقا بما تنتجه وتخلفه الحضارة من فكر يكون هو أساس العلوم لنهضة الجانب المادي والتكنولوجي وتطوره، وهذا ما يؤكد توبيي عندما يقر بأن: "التقدم المادي عندما يستخدم كمسلك خداع لاستجابة ناجحة، ذلك أن التوسع الحربي لبس هو وحده المظهر الخداع للتقدم والارتفاع، وإنما تشترك معه سيطرة الإنسان على البيئة المادية في شكل تحسينات في الأسلوب التكنولوجي المادي، إنه بدوره ليس دليلا على رقي المجتمع، إذ قد يحدث ذلك في مرحلة تدهور المجتمع، لأن الأسلوب التكنولوجي آلي تطبيقي وليس من الضروري أن يصاحب الإبداع الروحي والفكري وجودا وعدما، فالارتقاء الحقيقي للحضارة إنما يتمثل في الارتقاء الروحي. (خطيب، 1993، صفحة 69)

لقد آمن بن نبي إيمانا يقينيا بالبناء الحضاري، فنجده يكرر ذلك في عديد من مؤلفاته على غرار شروط النهضة، ومشكلة الثقافة ومشكلة الأفكار في العالم الإسلامي وكتاب تأملات الذي يقول فيه: "الحضارة هي التي تكون منتجاتها وليست المنتجات هي التي تكوّن الحضارة" (بن نبي، تأملات، صفحة 167)

إن البناء الحضاري شرط ضروري لقيام الحضارة أو إعادة بعثها وهو مؤشر على أن الحضارة في مرحلة تجديد أم أنها تمر بمرحلة تكديس ليس إلّا، ويقوم البناء الحضاري على أسس فكرية توجه عالم الأشياء وعالم الأشخاص عن طريق تحديد الأهداف والغايات ويرى بن نبي أن البناء الحضاري يتطلب حل ثلاث مشكلات جزئية على النحو التالي: (صفحة 199)

1- مشكلة الإنسان وتحديد الشروط لانسجامه مع سير التاريخ، وذلك من خلال الاستثمار في الجانب النفسي والروحي والأخلاقي له.

2- مشكلة التراب وشروط استغلاله في العملية الاجتماعية: وذلك من خلال استغلال كل ما يقدمه للإنسان من خيارات وطاقات ومواد أولية.

3- مشكلة الوقت وبث معناه في روح المجتمع ونفسية الفرد: وذلك من خلال استغلال هذا العنصر استغلالا فعالا تبرز فيه منتجات ومظاهر الحضارة دون إهدار للوقت.

وبما أن المفكر ربط فكر التجديد بالتجديد الحضاري الذي يرى فيه بأنه هو العامل الأساسي لإعادة بعث الروح في الفرد العربي المسلم ومن ثم إعادة بعث مجتمعه من جديد، فإننا سنحاول فيما يلي عرض شروط التجديد الحضاري عند هذا المفكر.

4.2. شروط التجديد الحضاري عند مالك بن نبي

لقد كان هم مالك بن نبي وشغله الشاغل هو إعادة بعث الفرد المسلم وإعادة بعث حضارته التي قامت سابقا مع ظهور الإسلام وبلغت إنجازاتها أقاصي الأرض وأدانيها وأصبح لها مكانة بين الأمم كون تلك الحضارة خلفت نتاجات

ثقافية ومادية على جميع الأصعدة، والفضل كل الفضل يعود في ذلك إلى الإسلام الذي هذب الفرد روحيا وأخلاقيا وعمليا وجعل منه الإنسان السوي والعنصر الفعال القادر على البناء الحضاري إذ يوضح بن نبي دور الإسلام وأثره على الفرد المسلم في تحضره في كتابه شروط النهضة فيقول: " فالعرب في الجاهلية كانوا بدوا رحلا تسيطر عليهم الوثنية والنعرة القبلية وغيرها من العادات الفاسدة، فإذا بالإسلام يبعث فيهم روح التآلف ويدفعهم إلى التحضر، فكان لهم ما هو معروف من حضارة." (بن نبي، شروط النهضة، 1986، صفحة 94)

إن بن نبي يؤمن يقينا بأنه لا سبيل لإعادة قيام الحضارة الإسلامية إلا بالرجوع إلى الدين الإسلامي كونه صالحا لكل مكان وزمان والعمل بالمبادئ التي قامت عليها تلك الحضارة سابقا، عملا بقوله صل الله عليه وسلم: " لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح بها أولها". وفي هذا الحديث إشارة ضمنية لمكانة الأخذ بتعاليم الدين الإسلامي من أجل صلاح الفرد وإيجاد مكانة لنفسه يفرض بها وجوده وحضوره كعنصر إيجابي فعال بين الأمم والشعوب، وهذا ما يطمح إليه بن نبي فنجدته يعبر عن فكرته تلك أملا في تجسدها في كتابه تأملات قائلا: " يجب أن يكون في نشاطنا شيء تعترف به الإنسانية كحاجة من حاجاتها، شيء يضمن لنا مركزا كريما في المجتمع العالمي." (بن نبي، تأملات، صفحة 213)

أما عن شروط التجديد الحضاري التي حددها بن نبي وكانت مستنبطة من جملة من الملاحظات والتحليل والتفاسير بين بيئة العرب والغرب وبين ما يعيشه الفرد المسلم حاليا وما عاشه سابقا قبل الإسلام وبعده، فيمكن ذكرها في النقاط التالية: (بوبر، 2014)

1.4.2. التوجيه الأخلاقي

وهو أولى شروط البناء الحضاري عند بن نبي وكذلك التجديد الحضاري، فتهذيب الخلق وتحسينه يزيد من مكانة الفرد ورفعته ودليل ذلك سيد الخلق رسول الله صل الله عليه وسلم الذي كسب القلوب والعقول بفضل حسن خلقه وخصاله فيقول فيه الحق سبحانه وتعالى: " وإنك لعلی خلق عظیم" (القرآن الكريم، سورة القلم، الآية 04)، وبالتالي فإن المؤسس الأول للحضارة الإسلامية كان خلقه عظيما وحاول قدر جهده تهذيب الأخلاق والخصال لقوله صل الله عليه وسلم: "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق" وفي ذلك إشارة لأهمية التوجيه الأخلاقي في البناء الحضاري وتجديده وأنه هو اللبنة الأولى للتأسيس الحضاري فالخلق السوي لدى الفرد يجعله يترفع عن كل ما هو سيء من دنئ التصرفات والسلوكيات وبالتالي يزداد رفعة في مجتمعه، وإذا ما اعتنينا بالجانب الأخلاقي للأفراد فحتما ستزداد أواصر التماسك الاجتماعي فيما بينهم وبالتالي تزداد قوتهم في تجسيد أفكارهم في عالم الأشياء.

2.4.2. التوجيه العلمي

يرى بن نبي أنه بعد التوجيه الأخلاقي لابد من التوجيه العلمي حتى لا تبقى الأفكار والمعارف حبيسة العقل وإنما يجب توجيهها حتى تخرج إلى النور ويتم تجسيدها على أرض الواقع (عالم الأشياء) للاستفادة منها فالتوجيه العلمي عند بن نبي لا يقاس بالكم المعرفي حبيس العقول وإنما يقاس بدرجة تجسيده.

3.4.2. التوجيه الفني والجمالي

وعن هذا الجانب التوجيهي وأهميته في استمرارية عالم الأشياء بصورته المحسنة يقول بن نبي في كتابه تأملات ما يلي: "إذا كان المبدأ الأخلاقي يقرر الاتجاه العام للمجتمع بتحديد الدوافع والاتجاهات فإن ذوق الجمال هو الذي يصوغ صورته... فالأول تنتهي عمليته عند إنشاء الأشياء وفهمها، بينما الثانية تستمر في تحميل الأشياء وتحسينها". (بن نبي، تأملات، صفحة 146) وهنا يمكننا القول بأن التوجيه الأخلاقي هو حجر الأساس في البناء الحضاري لتحديد الإطار الهيكلي وتوجهاته ومبادئه أما الجانب الفني والجمالي فهو أساسي لضمان الاستمرارية والجودة في تقديم عالم الأشياء، فالجانب الأخلاقي يعطينا فردا محصنا فكريا وروحيا يصعب غزوه واستعمارها أما توجيه الجانب الجمالي فيسقل الملكات ويفجر الطاقات فترى الفرد يبدع كل حسب مجال تخصصه.

إلى جانب هذه الشروط الثلاث السالفة الذكر والتي تضمن حسب رأي بن نبي الانسجام والتكامل للجهد الإنساني سواء على المستوى الفردي أو الاجتماعي الجماعي مع الهيكل العام للإطار الحضاري وتوجهاته ومع القوانين الكونية، فإنه يرى بضرورة توفر جملة من الشروط الأخرى والتي تتمثل فيما يلي:

4.2.2. الشروط النفسية

وهي الشروط القادرة على إعطاء فرد متشبع بجملة من المبادئ الدينية والأخلاقية وتولد فيه روح الطموح والإبداع والقدرة على التأثير والتأثير في مجتمعه وفي المجتمعات الأخرى في حدود الهيكل العام الذي يسمح به إطاره الحضاري. وهذه الشروط بالنسبة لمالك بن نبي بمثابة المحرك الداخلي للإنسان فإذا ما تم تشغيل هذا المحرك في ظروف ملائمة فإن أدائه وعطاءه يكونان باهرين.

5.4.2. الشروط الاجتماعية والروحية

يرى بن نبي أن القيم الروحية هي التي تضمن انخراط الأفراد في شبكة من العلاقات والقيم الاجتماعية وبالتالي فهي متكاملة، كما تولد في أفراد المجتمع الواحد روح الإتحاد والتضامن وهذا الالتفاف الممنهج والمصوب هو شرط من شروط قيام الحضارة وإعادة بعثها خاصة إذا كان المسار ينطلق من عالم الأفكار ومحاولة تجسيدها في عالم الأشياء كنقطة مرسومة للوصول مع الحرص في ذلك على الجانب الجمالي والإبداعي، أما إن تغير المسار بالعكس فأصبحت نقطة انطلاقه هي عالم الأشياء فهنا يصبح الالتفاف حول القيم الاجتماعية والروحية (ونرى بأنها في هذه المرحلة تكون إما منعدمة أو مقلدة) فذلك يؤدي إلى انحطاط الحضارة.

وفي هذا السياق يقول مالك بن نبي: "إن مسيرة الحضارة هذه تسير بالمجتمع قوة وضعفا، دفعا وهونا، صعودا وهبوطا، تبعا لدرجة تمحوره حول الأفكار أو حول الأشياء المحيطة به". (بن نبي، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، صفحة 07)

مجل القول من خلال هذا الطرح هو أن شروط البناء الحضاري أو إعادة بعثها تقوم أولاً على التوجيه الأخلاقي كحجر أساس وتنتج خلاله الأفكار وتتلور في الفكر ليأتي بعدها التوجيه العلمي الذي يجسد تلك الأفكار في عالم الأشياء والماديات ويجب أن يصحبها التوجيه الفني والجمالي لضمان الإبداع إضافة إلى ذلك وجب توفر الشروط النفسية التي تضمن الإنسان السوي المعتد بذاته حتى يحدد لنفسه جملة من الشروط الروحية والتي تخلق بدورها شروطاً اجتماعية تضمن للفرد الانسجام والتكامل في مجتمعه ومع غيره وهذا الالتفاف حول هذه القيم التي يحددها هذا الفرد السوي تكون ركيزة أساسية لبناء الحضارة انطلاقاً من عالم الأفكار والارتقاء بها إلى عالم الأشياء.

وعليه فإن شروط البناء الحضاري = توجيه أخلاقي يولد عالم الأفكار + توجيه عملي يولد عالم الأشياء + توجيه فني وجمالي يضمن الإبداع والجودة والاستمرارية + شروط نفسية واجتماعية وروحية تضمن التكامل بين عالم الأشخاص فيما بينه ومع العوامل الخارجية.

كما أن حسن الاستثمار في هذه الشروط يوجه عالم الأشخاص لتحديد أهدافه وغاياته فيكون الفرد فاعلاً فعالاً مع تجنب إهدار عامل الوقت.

3. الإظهار في سياقه الترجمي

1.3. مفهوم الإظهار

لغة: ورد تعريف الفعل ظهر في لسان العرب كونه الفعل المجرد لـ "إظهار" على النحو التالي قوله صل الله عليه وسلم: ما نزل من القرآن آية إلا لها ظهر وبطن، ولكل حرف حد ولكل حد مطلع، قال أبو عبيد: قال بعضهم الظهر لفظ القرآن، والبطن تأويله، وقيل: الظهر الحديث والخبر، والبطن ما فيه من الوعظ والتحذير والتنبيه، ... وقيل في تفسير قوله لها ظهر وبطن، وقيل: ظهرها لفظها، وبطنها معناها، وقيل: أراد بالظهر ما ظهر تأويله وعرف معناه، وبالبطن ما بطن تفسيره، وقيل أراد بالظهر التلاوة وبالبطن التفهم والتعلم. (منظور، 1919، صفحة 2765)

أما في اللغة الفرنسية فمقابل الإظهار هو "L'explicitation" وقد ورد تعريفها في قاموس L'arousse على النحو الآتي:

“Qui est énoncé complètement et ne peut prêter à aucune contestation : Un texte de loi explicité, Qui s’exprime complètement et clairement sans laisser place à l’ambiguïté” (Le petit Larousse illustré, dictionnaire monolingue, 1996)

وورد تعريف الفعل **Expliciter** في قاموس الأكاديمية الفرنسية على النحو الآتي:

“Expliciter : Verbe Transitif. Rédiger ou énoncer de façon claire et précise ce qui était implicite. Droit Rédiger ou énoncer complètement, sans laisser d’ambiguïté. Exemple : cette clause a été explicitée” (Académie française, n.d.)

من خلال ما ورد في التعريف العربي والتعريف الفرنسي للفظه الإظهار **L'explicitation** والفعل ظهر **Expliciter** يمكننا القول بأن الإظهار يقصد به الإجهار أو الجهر بالمقصود من الكلام والتصريح به والإفصاح والكشف عنه دون ترك أي مجال للبس أو الغموض ما يفسح المجال لتعدد التفسير والتأويل.

اصطلاحاً:

إن تعريف الإظهار اصطلاحاً تتعدد فيه الرؤى بحسب وجهة نظر المنظرين كل حسب محال اختصاصه فعلماء اللسانيات على سبيل المثال يربطونه بالمفردات والتراكيب اللغوية والنحوية اللازمة لاتساق النص وتربطه لإيضاح المعنى المباشر أثناء العملية التواصلية فيتم ترتيب وتنظيم هذه الوحدات اللسانية اللغوية والنحوية لتفادي الخلط والغموض عند القارئ أو المستمع وغلق باب تعدد التأويلات (Baumgarten, Meyer, & Özçetin, 2008) كاستعمال المرادفات اللغوية مثلاً بدل استعمال الضمائر وما قد يصحبه من لبس في تحديد المعاني.

أما من وجهة نظر التداولية اللسانية (براغماتية) فيرى المنظرون بأن الإظهار لا يقتصر فقط على الجانب اللساني وما يتشكل عنه من معنى ناجم عن تجاوز الوحدات اللسانية وتربطها بعضها ببعض، وإنما يتعدى الأمر ذلك ليربط بين النص ومنتجه وسياقه المقامي الذي تتحكم فيه وتحدده الظروف الاجتماعية والجغرافية والزمنية والثقافية والسياسية والاقتصادية والدينية ومدى قدرة القارئ أو المستمع الإدراكية في إقامة العلاقة بين كل هاته المعطيات لاستخلاص المعاني ما فوق اللسانية. (Al-Mohaya, 2015, p. 148)

وأما من وجهة نظر علماء ومنظري الترجمة فهم يرون بأن الإظهار عبارة عن استراتيجية عامة في الترجمة، يلجأ إليها المترجم عندما تكون هناك معاني مضمرة في النص الأصلي، فيقول عنه بيم (Pym) بأنه أحد الطرق التي يختارها المترجم لتفادي خطر ضياع كل المعنى أو جزئه أثناء النقل من النص الأصلي إلى النص الهدف (Pym, 2005, p. 41) لتلك المعاني المضمرة والإيجاءات الدلالية التي قد تكون سهلة الفهم في النص الأصلي ولا داعي لذكرها حرفياً أو أنها تستعمل لأغراض بلاغية وسياقية دارجة في اللغة والثقافة الأصل بينما تكون عكس ذلك في اللغة الهدف ويصعب على المتلقي إدراكها وفهمها وتأويلها تأويلاً كذلك الذي وردت لأجله في النص الأصلي نتيجة للفروقات اللسانية والثقافية الموجودة بين اللغتين.

ففي هذه الحالة غالباً ما يصعب على المتلقي الهدف أن يفهم رسالة النص المترجم وقصديته إذا ما حافظنا على المستوى الشكلي اللساني والمستوى الأسلوبي والدلالي نفسه وبدرجة التضمنين نفسها التي وردت في النص الأصلي.

وهذا ما نوهت إليه ماريان ليدرار Marianne Lederer في تعريفها للإظهار الذي تعتبره ضرباً من أضرب

التكليف التي يستعملها المترجم لمراعاة القارئ الهدف واختلافاته الثقافية فتقول:

« L'explication est en traduction un procédé d'adaptation au lecteur étranger. Il peut s'agir, par exemple, de l'explicitation d'un référent désigné dans le texte original ou de celle de faits culturels inconnus du lecteur de la traduction » (Lederer, 1998)

فالإظهار في الترجمة وبعد الاطلاع على تعاريف أخرى عديدة لمنظرين وباحثين آخرين أمثال بيتشر **Becher** وهاليداي **Halliday** وماريا تانشيا **Maria Tenchea** وبلوم كالكا **Shoshana Blum kulka** والتي تعد أول من قامت بدراسة علمية أكاديمية على الإظهار في الترجمة سنة 1986 بعنوان “**Shifts of cohesion and coherence in translation**”، نجد بأن لهم وجهة نظر متقاربة إلى حد كبير بشأنه إذ يرون بأنه أسلوب حتمي مصاحب للترجمة وحجتهم في ذلك أن النص المترجم دائما يفوق حجما النص الأصلي و يرجع الغرض من ذلك إلى الإيضاح الذي يعتمد على المترجم لما ورد مضمرا في النص الأصلي أو حتى لما كان قد ذكر لفظا ولكن نقله بالصورة نفسها إلى اللغة الهدف بيقه غامضا لدى المتلقي أو للزيادة في أدوات الترابط النصي لخلق توازن اتساق وانسجامي، كما يرجعون السبب إلى حتمية الإظهار في الترجمة إلى الاختلافات الثقافية بين الشعوب واختلافات الأنظمة اللغوية تركيبيا و دلالة. وبالتالي فإننا نجد منى بيكر (**Mona Baker**) تعتبره أحد الكليات الأربعة للترجمة والمتمثلة في:

- | | | | |
|-------------------|----------------------|--------------------|------------------|
| 1- الإظهار | 2- التبسيط | 3- التطبيع | 4- التوازن |
| (L'explicitation) | (Les simplification) | (La normalization) | (Le nivellement) |

تري بيكر بأن هذه الكليات الأربع هي وليدة الفعل الترجمي ولا يمكن الحديث عنها قبل وضع النص بين يدي المترجم كما أنها مشتركة أثناء الترجمة إلى أي لغة من لغات العالم مهما كانت طبيعة النص والاختلافات بين اللغتين. أما عن كينغا كلاودي (**Kinga Klaudy**) والتي تعد من أهم الباحثين المهتمين بدراسة الإظهار في الترجمة والتي باشرت أعمالها انطلاقا من دراسات بلوم كالكا عن فرضية الإظهار “**Explicitation Hypothesis**”، فقد ربطت الإظهار بالإضمار في جل دراساتها التقابلية العكسية وترى بأن العلاقة بينهما هي علاقة حتمية إذ أن وجود الإضمار في النص الأصلي يفرض وجوبا على المترجم اللجوء إلى الإظهار في الترجمة وذلك راجع إلى الاختلافات الثقافية المقامية من جهة والاختلافات البنيوية والنحوية والأسلوبية والبلاغية من جهة أخرى.

2.3. أنواع الإظهار

أنواع الإظهار حسب تصنيف كينغا كلاودي: لقد ميزت الباحثة بين أربعة أنواع للإظهار نذكرها كالآتي:

(Klaudy, 2009, pp. 106-107)

1.2.3. الإظهار الإجباري

ويتعلق هذا النوع من الإظهار بالمستوى النحوي التراكبي والدلالي وهو راجع إلى الاتساق والانسجام في النص المترجم وإلا فإن البنية التراكيبية سوف تكون ركيكة أو من دون معنى.

2.2.3. الإظهار الاختياري

أما هذا النوع من الإظهار فهو اختياري لأنه حسب كلاودي متعلق باستراتيجيات بناء النصوص وخيارات التعبير الأسلوبية فيها، إذ قد ينجم عن احترام أساليب التعبير الأصلية نص صحيح نحويا وتركيبيا أما من ناحية طريقة التعبير فقد

يشوبه نوع من الغرابة بالنسبة للقارئ الهدف وبالتالي فالمترجم لديه الخيار في البحث عما هو أنسب أسلوبيا في اللغة الهدف.

3.2.3. الإظهار البراغماتي

ويرجع السبب الرئيسي لهذا النوع من الإظهار إلى الاختلافات الثقافية بين المجتمعات، فما يعتبر معرفة عامة في بيئة ما ويفهم ضمنا من خلال السياق أو العرف اللغوي والدلالي الدارج في ذلك المجتمع. قد يكون دخيلا على قارئ النص المترجم، وبالتالي فإن ما ورد التلميح والإيحاء إليه ضمنا في النص الأصلي قد لا يمثل شيئا بالنسبة للقارئ الهدف أو يضيفي الغموض على النص بسبب غرابته عند هجرته وبالتالي وجب تدخل الإظهار البراغماتي لشرح السياق والمقام.

4.2.3. الإظهار الملازم لعملية الترجمة

وهو الإظهار الذي تعتبره بيكر أحد كليات الترجمة وهو الذي يصاحب الفعل الترجمي وما تفرضه العوامل المصاحبة له من قيود على المترجم تجعله يعيد الصياغة وترتيب التراكيب بسبب الاختلافات الثقافية واللغوية. وبعد أن عرضنا مفهوم الإظهار في الترجمة وأنواعه، فإن خلاصة القول هذه التي تعتبره أسلوبا حتميا أثناء الفعل الترجمي تجعلنا نتساءل عن مدى حرية المترجم في تطبيق الإظهار وإيضاح المضمرة من الدلالات وإضافة أدوات الربط لإيضاح علاقات الترابط بين الوحدات اللغوية أثناء ترجمة نصوص مالك بن نبي والتي سبق وأشرنا بأنها نصوص محملة ومثقلة بالمعاني الضمنية خاصة وأن الفروقات اللغوية والثقافية حاضرة فيها بقوة لأن الكاتب جعل من الدين الإسلامي وركائزه ومبادئه مرجعا قويا ويستند إليه ويستدل به في كل مرة في سبيل النهوض بالأمة العربية الإسلامية. فكيف سيتم الإظهار أثناء الترجمة وهل سيكون بمراعاة الحفاظ على غيرية النص الأصلي شكليا وضمنا أيا كانت اللغة المترجم إليها وأيا كانت فئة المتلقين ولغتهم وثقافتهم وانتسابهم الجغرافي والتاريخي، أم أن المترجم سيأخذ القارئ بعين الاعتبار ويكون الإظهار في هذه الحالة تكييفا بحسب لغة وثقافة المتلقي. من هذا المنطلق فإننا سنربط بين الإظهار وبين استراتيجيتي "التغريب" و"التوطين" أثناء ترجمة فكر بن نبي وهل أن الإظهار في ترجمة أعماله هو تحلي وتحسيد لاستراتيجية التوطين أم لاستراتيجية التغريب.

4. استراتيجية ترجمة فكر مالك بن نبي

لقد اختلف المنظرون في تصنيف استراتيجيات الترجمة، ونعتقد بأن السبب راجع في ذلك إلى المجال الذي تستعمل فيه الترجمة والغاية منها وأنواع النصوص المتعامل معها، وهذا ما جعل مني بيكر (Mona Baker) على سبيل المثال تجعل من المترجم هو السيد في قراره والمسؤول عن استراتيجية الترجمة المعتمدة والتي يحددها نوع النص والمقاربة التي تناسب ترجمته.

أما نحن فإننا سنتناول في هذه الورقة البحثية تصنيف فينوتي "Venuti" لاستراتيجيات الترجمة والذي ميز بين صنفين وهما:

استراتيجية التوطن "La naturalisation" أو "Domestication"

استراتيجية التغريب "L'exotisme" أو "Foreignizing"

والسبب وراء عرض هاتين الاستراتيجيتين يكمن وراء طبيعة نصوص مالك بن نبي والزخم الثقافي والفكري الضمني الذي تحويه كما سبق وأشرنا، وهل أن إظهار هذه الدلالات الضمنية سيحافظ على غيرية النص وغرابته أم أنه سيكون توطينا نزولا عند رغبة المتلقي وبالتالي فإننا سنعرض أولا هاتين الاستراتيجيتين لنرى بعدها أيهما تتجسد أكثر في ترجمة نصوص بن نبي أثناء تطبيق أسلوب الإظهار.

1.4. استراتيجية التوطن

إن استراتيجية التوطن وتتبع لمسار تطبيقها منذ القدم لما كان الرومان يكتفون النصوص اليونانية بحسب ثقافتهم المحلية حتى يخيل إلى القارئ وكأنها كتبت أصلا باليونانية، بل وكانوا ينسبون بعضها لشعرائهم، وبالتالي فقد استخدمت لطمس هوية الثقافات المهجورة والآيلة للزوال ونسب مخلفاتها للثقافات السائدة المزدهرة، كما أنها استخدمت أيضا لدحر الإيديولوجيات وديانات الأقليات العرقية وسيادة ديانات القوى المسيطرة، ودليل ذلك عندما أشرف يوجين نيدا بنفسه على ترجمة الكتاب المقدس مطبقا استراتيجية التوطن لأنها تساعده في الإرسالات التبشيرية لنشر المسيحية. (p. 241)

وترى سوزان باسنيث وهأويش تريفيدي في مقدمة كتابهما "Postcolonial Translation: Theory and practice" بأنه في ظل انتهاج المترجمين لاستراتيجية التوطن فإن اللغات المحلية تصارع حتما من أجل البقاء مع منافسة اللغة الإنجليزية كلغة عالمية. (Munday, 2001, p. 135)

يمكننا القول إذا بأن استراتيجية التوطن تخدم أصحاب النزعة المركزية، فهي لا تعترف بالفروقات الثقافية ولا بثقافة الأقليات العرقية والدينية، وهي حليف مناصر للمجتمعات السائدة المهيمنة وثقافتها.

وبالتالي فإننا نرى بأن استراتيجية التوطن هي وجه آخر لعملة الغزو والاستلاب الثقافي، لأنها لا تعترف بالأخر الضعيف المستعمر وبفروقاته الثقافية على الرغم من أن الهدف المعلن فيها هو تقديم نص مفهوم سلس بالنسبة للقارئ الهدف من خلال تقديم الشروحات والإيضاحات لما ورد في النص الأصلي، وبقي محل غرابة بالنسبة للمتلقي، وهذا من مقاصد أسلوب الإظهار أيضا.

وعند هذه النقطة، نجد أنفسنا قد وصلنا إلى قطبين، سالبين معاً، أو موجبين معاً، لا يمكن الجمع بينهما، ألا وهما نصوص مالك بن نبي التي تعد من فكر الآخر، المستعمر المستعبد المنبوذ الذي لا يرحب بفكره ولا بالترويج له، عن طريق الترجمة هذا من جهة، ومن جهة أخرى اعتماد أسلوب الإظهار في ظل تبني استراتيجية التوطن، والتي ستكون خطراً على أفكار النص الأصلي ومقاصده التجديدية التحررية من نظرة الاستعباد وقابلية للاستعمار من خلال الرجوع إلى مبادئ الدين الإسلامي الحق والتي أسست فيما قبل للحضارة العربية الإسلامية التي انتقلت بالمجتمع العربي من مجتمع يعيش في

الجاهلية إلى مجتمع وصلت إنجازاته جل ربوع العالم في ذلك العصر في مختلف المجالات. فإننا نعتقد بأن الإظهار في هذه الحالة لن يكون لصالح النص الأصلي وأنه سيكون للحديث وتكييف وفقا لما يضمن مصالح النزعة المركزية. إذ ليس من مصلحتهم أن يروجوا لهذه النصوص التي تهتم بالفرد المستعمر وسبل إصلاحه، كونه هو الأساس في إعادة البناء الحضاري، فإن تم إعادة بعث هذه البذرة التي تعتبر حجر أساس الحضارة، اكتسب التراب قيمته الاجتماعية، واكتسب الوقت قيمته التاريخية والإنتاجية. وتلكم هي أطراف معادلة الحضارة عند بن نبي.

من هذا المنطلق يمكننا القول بأن ترجمة نصوص بن نبي المشحونة ضمينا وثقافيا، لن تجد ضالتها أثناء استعمال أسلوب الإظهار، في ظل تطبيق استراتيجية التوطين.

2.4. استراتيجية التغريب

ويطلق عليها فينوتي أيضا "الإستراتيجية المقاومة" أو "استراتيجية الأقليات" (Munday, p. 147) ويرجع السبب في هذه التسميات إلى أنها استراتيجية تحترم أقلية الشعوب وثقافتهم ولغاتهم، كما تضمن بقاء التنوع الثقافي في ظل هيمنة ثقافة ولغة الأقوى، فهي وعلى حد تعبير أنطوان بيرمان "تحافظ على غرابة الآخر" ويكون ذلك من خلال إجبارية احترام النص الأصلي وكتابه وأن يسافر المترجم بالقارئ الهدف إلى نص يجبره فيه على التأقلم مع غرابته وخصوصياته اللغوية والثقافية وهذا ما يراه "فريدريك شلاير ماخر" ومن والاه من منظري الحقبين الكلاسيكية والرومانسية في ألمانيا، الذين يرون بأن عمل المترجم لا يتمثل في تقديم نص مفهوم يبدو وكأنه محلي بالنسبة للقارئ، ويكون ذلك على حساب تعديل النص الأصلي، وإنما عليه أن يحترم النص الأصلي وكتابه، تاركا القارئ يغوص في نص تلفه الاختلافات الثقافية لتكون بذلك الترجمة جسرا لمد الثقافات والأفكار لا قيادا كاجبا لها. ونرى بذلك بأن هذه الاستراتيجية تضمن ازدهار فكر الشعوب المستضعفة المستعمرة، فهي ترفض الهيمنة على المستعمر وطمس هويته ويؤمن منظورها بمبدأ التعدد والاختلاف الثقافي، وأنه في حالة وقوع المترجم بين مطرقة النص الأصلي وما يحويه من فروقات ثقافية وسندان القارئ الهدف وما يطالب به من حقه لتذليل مشقة هجرته الثقافية وما قد ينجر عنها من عدم فهم للنص المترجم، فمن حق المترجم أن يلجأ إلى أسلوب الإظهار وتطبيق تقنياته على غرار الترجمة الشارحة أو التتمير أو التطويع أو الإبدال أو التكييف أو النفخ والتكنية أو التعويض أو التدوين أو التوسيع أو التعويض الإظهار، أو إعادة البناء أو الإضافة أو حاشية المترجم، كل هذه التقنيات هي حلول في يد المترجم ليحافظ بها على النص الأصلي ويوضح بها القارئ الهدف ما هو أجنبي عن ثقافته.

وبعد عرض مبادئ استراتيجية التغريب وما تضمنه من حق للحفاظ على غيرة الآخر في فكر وأدب الشعوب المستعمرة والضعيفة، وأن الإظهار فيه أسلوب يستعمل بمختلف تقنياته للحفاظ على الاختلافات والفروقات الثقافية لا لطمس الهوية، (Munday, pp. 133-134) على حد رأي كرونين Cronine وغاياتري سيفاك "Gayatri

Spivak "فإننا نرى بأن تطبيق أسلوب الإظهار على نصوص مالك بن نبي، في ظل تبني استراتيجية التغريب، سيضمن فكر الكاتب ومقاصده وخلفياته الثقافية والدينية، وأن القارئ الأجنبي لن يكابد في فهم ما هو أجنبي عن لغته وثقافته. فعن ترجمة اقتباسات آيات من القرآن الكريم مثلاً، فإن المترجم سيعمل جاهداً على إيصال معانيها وتفسيرها، ليتجلى المعنى للقارئ الهدف الأجنبي عن الثقافة والدين الإسلامي، لا أن يحذفها أو يحرفها. ففي كتابه "الصراع الفكري في البلاد المستعمرة" نجد مالك بن نبي يستدل بالآية 46 من سورة الأنفال التي يقول فيها المولى عز وجل: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: 46/8] (ص42)، وفي هذه الآية يبين الله سبحانه -في استناد منا إلى تفسير الطبري- أهمية طاعة المؤمنين لله ورسوله والعمل بما أمرهما به ونهاهما عنه وأن يجتنبا النزاع والخصام فيتفرقوا وتختلف قلوبهم فيضعفوا ويحبسوا. وقد وردت ترجمة هذه الآية في الكتاب ذاته لمالك بن نبي المترجم إلى الفرنسية من طرف نورالدين خندودي على النحو التالي:

« Obéissez à Dieu et à son messenger et ne vous livrez pas des rivalités qui vous exposeront à la défaite et à la désunion... » (P52)

من خلال تحليل هذه الترجمة والتي كانت ترجمة تأويلية إلى حد بعيد، نجد أن المترجم حاول فيها الإمام بالمعنى المقصود من الآية، إلا أننا نرى بأنه كان من الأجدر به أن يعتمد على الإظهار وبعض تقنياته كالترجمة الشارحة والإضافة حتى يحافظ على دلالة ورمزية بعض الألفاظ التي تختلف دلالتها ورمزيتها في اللغة الهدف بسبب الفروقات الثقافية والدينية مثل لفظ الجلالة "الله"، إضافة إلى ذلك فقد حذف المترجم لفظة "الأنفال" ونرى بأنه كان من المفروض أن يضيف لها لفظة "سورة" عوضاً عن حذفها كلية، لأن هذا الاستشهاد من القرآن في نص مالك بن نبي يحيل في ذهن القارئ إلى مرجعية فكره الدينية المستمدة من القرآن والسنة، وبمثل هذا الحذف الذي قام به المترجم يكون قد حجب جانباً دينياً وثقافياً وإيديولوجياً عن الكاتب الأصلي.

وهو الشيء نفسه بالنسبة للأحاديث النبوية الشريفة التي يستشهد بها الكاتب في كل مرة في نصوصه. كما نجده أيضاً يضرب أمثلة لبعض الشخصيات أو الأحداث التاريخية الفاصلة في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، على غرار "واقعة صفين" مثلاً في كتابه الصراع الفكري في البلاد المستعمرة (صفحة 42) و"يوم بدر" في الكتاب نفسه، (صفحة 42) حينما يقول: "إن واقعة صفين فصمت الوحدة الشاملة التي بناها محمد ﷺ بأمر من ربه، فحطت بذلك من مستوى المعركة التي بدأت يوم بدر..." وهما حدثان هامان يحملان دلالات قوية في نفس وتاريخ الفرد المسلم، أما المترجم نورالدين خندودي فقد وردت ترجمته على النحو الآتي:

« Sur ce point, la bataille de **Siffin** a porté un coup sévère à l'unité globale bâtie par le Prophète Mohammed selon un précepte divin. Elle a, du coup, dégradé le niveau du combat inauguré depuis la bataille de **Badr**... » (P52)

نرى بأنه أثناء ترجمته لهاتين اللفظتين بالاقتراض، كان من الواجب عليه في الوقت نفسه إضافة حاشية المترجم للتعريف بمهذين الحديثين باعتبار أن حاشية المترجم هي تقنية من تقنيات الإظهار، وذلك في ظل الإبقاء على خصوصيتيهما اللفظية والدلالية باتباع إحدى تقنيات الترجمة الحرفية وهي الاقتراض، وليعرف بهما من جهة أخرى لدى القارئ الهدف كونهما حديثين أجنيين عن الآخر، عكس بعض الشخصيات السياسية المعروفة عالمياً كـ "نهر" و"غاندي" و"نكرومه"، فالترجمة في هذه الحالة، لا تقتضي من المترجم إضافات وشروحات بل كما سبق وأشرنا بأن الإضافات في استراتيجية التغريب تكون في مواقع الفروقات الثقافية والدينية الأجنبية.

كما نجده في مواضع أخرى، يستعمل أسماء لأشخاص، ولكن ضمناً لها إichاءات دلالية تفهم من خلال السياق. ففي كتابه "الصراع الفكري في البلاد المستعمرة" (صفحة 14 و15)، يقوم الكاتب بخلق مقارنة يشبه فيها ما يجري من صحوه بدأت تسري في أوساط المجتمع الإسلامي العربي مع حلول القرن التاسع عشر 19، بمسرحية يجسد أدوارها 3 ثلاثة ممثلين رئيسيين ويسقط هذا التشبيه على الجزائر كعينة عن البلاد العربية كون الأوضاع متشابهة إلى حد بعيد في الأقطار العربية وإنما تختلف فيها فقط أسماء الشخصيات وتواريخ الأحداث فالشخصية الأولى من هذه المسرحية يجسدها الشعب المخدر الخامل العاجز.

أما الشخصية الثانية فيسميها بن نبي (فكرة متجسدة)، ثم ما يمثلها في شخصين يطلق عليهما الشيخ بن مهنا والشيخ عبد القادر المجاوي واختيار الكاتب لهذين الشخصين له رمزية كبيرة. أولاً فيما يخص العلاقة بينهما وبين مصطلح "فكرة متجسدة"، إذ يمثل الكاتب فكر الصحوه في هذين الشخصين، ويضيف لهما كلمة "شيخ" وما لها من دلالة ترمز لها في المجتمع الجزائري، فالشيخ عندهم هو رجل دين حكيم ذو خلق ورأي سديد وذو كلمة ووجهة في قريته يكون دائماً هو الموجه والمرشد وترجع له الكلمة في حل الخلافات واتخاذ القرارات، ولذلك أطلق عليها بن نبي مصطلح "فكرة متجسدة" أي أن "عالم الأفكار" وما له من رمزية في فكره تجسد في صورة هذين الشيخين ليمثلاً بداية طريق الصحوه في المجتمع إضافة إلى الرمزية الدلالية فهناك أيضاً رمزية تاريخية لهذين الشيخين بوصفهما أول بطلين في الصراع الذي بدأ ضد المرابطين والخزافات.

ثم يدخل الكاتب الشخصية الثالثة كنتيجة عن دور الشيخين وآثارها البارزة في المجتمع، لتدخل هذه الشخصية الثالثة والمتمثلة في الاستعمار، ليعطل عمل الشخص الشيخين ويترك المجتمع يتلذذ في نومه تحت تأثير جرعة التخدير التي حقنت له منذ بضعة قرون.

من خلال هذا المشهد المليء بالمعاني الضمنية، التي حاول الكاتب أن يصورها باستعمال هذه الشخصيات وما تحمله كل واحدة من دلالة رمزية، نرى بأن المترجم نورالدين خندودي عليه أن يكون حريصاً في ترجمته حتى يصور لنا المشهد نفسه، ويلم بكل الإichاءات التي يحويها سواء من خلال طريقة التعبير والتسلسل في إدخال الشخصيات وتسمية

هذه الشخصيات، وما تحمله من معانٍ دلالية وتلك الألفاظ التي ألحقها بكل شخصية، على غرار النوم وربطها بالشخصية الأولى.

"الشيخ" "وقور" "فكرة متجسدة" وربطها بالشخصية الثانية.

الاستعمار، وربطه بالشخصية الثالثة، إضافة إلى ما استعمله الكاتب من ألفاظ ترتيبيّة تعاقبية، زمنية ومكانية، ليعطي بها تسلسلا زمنيا يبين من خلاله توقيت اعتلاء هاته الشخصيات لخشبة المسرح. إن ترجمة هذا المشهد يجبر المترجم نور الدين خندودي على إظهار ما تحويه دلالات هذه الألفاظ، كي يصور المشهد إيحائيا وزمنيا، كأن يضيف المترجم حاشية يقدم فيها لهُذين الشيخين مسيرتهما وفضلهما النضالي في رسم حركة الإصلاح في الجزائر-وهذا ما لم نلمسه في الترجمة- فبقيت بعض الأحداث والشخصيات غامضة لدى القارئ الهدف الأجنبي عن الثقافة والتاريخ الجزائريين وذلك الغموض سيُفقد معه لا محال تلك المعاني الضمنية التي أراد الكاتب الأصلي أن ينقلها من خلال رمزية تلك الأحداث والشخصيات التي وظفها. فيما يخص الأخطاء اللغوية المذكورة فقد أخذناها بعين الاعتبار وقمنا بتصويبها.

إن أمثلة الاستشهاد هذه كثيرة في نصوص بن نبي، وما على المترجم إلا أن يقف على دلالاتها وإيحائها ورمزيتها، حتى يتسنى له إظهار ما يجب إظهاره من معانٍ ضمنية ضرورية لفهم رسالة النص وقصديته، خاصة إذا كان القارئ الهدف أجنبيا تماما عن الدين الإسلامي والتاريخ العربي الإسلامي عموما والجزائر خصوصا.

5. خاتمة

ختاما في هذه الورقة البحثية، وبعد عرض شامل عن المفكر الفيلسوف الجزائري مالك بن نبي، وأهم ما يميز فكره من أجل التجديد الحضاري وشروط هذا التجديد، إذ أن أطراف معادلة الحضارة عنده ثلاثة؛ وهي الإنسان والتراب والوقت أما العنصر الفعال في هذه الأطراف فهو الإنسان الذي يجب توجيهه فكريا وأخلاقيا ونفسيا وماديا وجماليا حتى يسمو بعالم الأفكار ويصوبه وبالتالي فإنه يجسده في أحسن صوره في عالم الأشياء (الماديات) بشيء من الإبداع والفن والجمالية فيكسب التراب قيمته التاريخية انطلاقا مما ينتجه الفرد، وحرصا منه على عدم إهدار عنصر الوقت الذي يصبح بقيمة هذه الإنجازات.

لقد عكف بن نبي في جل كتبه التي صدرت تحت عنوان "مشكلة الحضارة" على أن يشخص مرض الأمة العربية والإسلامية، ويعطيها الحل لإعادة بعث حضارتها وأمجادها من جديد مستعملا في ذلك القرآن الكريم والحديث النبوي، مصدرين ملهمين لإعادة البناء الحضاري، وبالتالي فإننا نجد نصوصه مشحونة ثقافيا ودينيا وتاريخيا، ولكن المشكل الذي طرحناه تمثل في كيفية تعامل المترجم مع المعاني الضمنية، وما تحويه من دلالات وإيحاءات ورمزية قد يصعب على المتلقي الهدف فهمها إذا ما حافظ المترجم على النص بنفس درجة الإضمار التي كتب بها النص الأصلي وبما أن الكاتب فكره تحريري تجديدي ينتمي إلى فكر دول العالم الثالث والشعوب المستعمرة والضعيفة، تساءلنا عن كيفية استخدام أسلوب

الإظهار الذي يعتبره المنظرون ضرورة حتمية كلما وجد الإضمار في النص الأصلي. وبما أن لكل مترجم استراتيجية يتبناها أثناء أدائه للفعل الترجمي، وبحسب طبيعة هذه النصوص، فإن استراتيجية ترجمتها حسب تقسيم "فينوتي" **Venuti** إما توطينية وإما تغريبية، وبعد عرض مبادئ الاستراتيجيتين التي تبين من خلالها بأن استراتيجية التوطين لا تعترف بالفروقات الثقافية للآخر المستعمر الضعيف وتقف حليفا لأصحاب النزعة المركزية، أما استراتيجية التغريب فإنها ترفض الهيمنة على المستعمر وطمس هويته وتعترف بمبدأ التعدد والاختلاف الثقافي وهو الأصل في الترجمة مع احترام شكل النص الأصلي وفكر كاتبه فقد خلصنا إلى أن مترجم نصوص مالك بن نبي يمكنه استخدام أسلوب الإظهار ولكن في ظل تبني استراتيجية التغريب، حتى يحافظ على قصدية رسالة هذه النصوص وفكرها التجديدي الذي يرمي إلى إعادة البعث والبناء الحضاري العربي الإسلامي.

6. قائمة المراجع:

- ابن منظور. (1919). *لسان العرب*. (عبد الله علي الكبير، و آخرون، المحررون) القاهرة: دار المعارف.
- جيلالي بوبكر. (27 أوت، 2014). *الإصلاح والتجديد الحضاري لدى مُحمَّد إقبال ومالك بن نبي، بين النظرة الصوفية والتفسير العلمي*. تم الاسترداد من مركز الوفاق الإنمائي للدراسات والبحوث والتدريب: <https://www.wefaqdev.net/art4029.html>
- سليمان خطيب. (1993). *فلسفة الحضارة عند مالك بن نبي، دراسة إسلامية في ضوء الواقع المعاصر* (الإصدار 01). بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.
- القرآن الكريم، سورة القلم، الآية 04. (بلا تاريخ).
- مالك بن نبي. (1986). *تأملات* (الإصدار 01). (عمر كامل مسقاوي، المترجمون) دمشق: دار الفكر.
- مالك بن نبي. (1986). *شروط النهضة* (الإصدار 01). (عمر كامل مسقاوي، و عبد الصبور شاهين، المترجمون) دمشق، سوريا: دار الفكر.
- مالك بن نبي. (1997). *تبسيط مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي* (الإصدار 01). (مُحمَّد عبد العظيم علي، المحرر، و مُحمَّد عبد العظيم علي، المترجمون) الإسكندرية: دار الدعوة.
- مالك بن نبي. (2000). *مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي*. (عمر كامل مسقاوي، المحرر، بسام بركة، و أحمد شعبو، المترجمون) دمشق: دار الفكر.
- مالك بن نبي. (2019). *مشكلة الثقافة* (الإصدار 21). دمشق: دار الفكر.
- مُحمَّد دبور شيخ. (02 ديسمبر، 2018). في نقد نظرية المكافئ الديناميكي ليوجين نيدا ومدى فعاليتها على النص الفكري. *مجلة المترجم، 18* (02).
- نور الدين مسعودان. (بلا تاريخ). *مالك بن نبي بقلم معاصريه*. دار النون.
- نورالدين مسعودان. (بلا تاريخ). *مالك بن نبي حياة وآثار، شهادات ومواقف*. دار النون.
- Académie français. (s.d.). *Expliciter*. Récupéré sur Dictionnaire de l'Académie française: <https://www.dictionnaire-academie.fr/article/A9E3459>
- Al-Mohaya, E. (2015, May 06). *L'explicitation en traduction. Une étude de cas : la traduction du Monde Diplomatique en arabe durant la période 2001-2011. Thèse de doctorat en traductologie*. Paris: Université Sorbonne Nouvelle.
- Baker, M. (2001). *Encyclopedia of Translation Studies* (éd. 01). London and New York: Routledge.
- Baumgarten, N., Meyer, B., & Özçetin, D. (2008). Explicitness in translation and interpreting: A critical review and some empirical evidence (of an elusive concept). *Across Languages and Cultures*, 09(02), 177-203.
- Klaudy, K. (2009). *Explicitation, Encyclopedia of translation studies by Mona Baker*. London and New York: Routledge.

- Le petit larousse illustré, dictionnaire monolingue.* (1996). Paris: Larousse.
- Ledrer, M. (1998). Traduire le culturel : La problématique de l'explication, palimpsestes. *Revue de traduction*, 161-171. Récupéré sur <https://journals.openedition.org/palimpsestes/1538>
- Munday, J. (2001). *Translation Studies, Theories and applications* (éd. 01). London: Routledge.
- Pym, A. (2005). Explaining Explication. In K. Károly, & A. Foris, *New Trends in Translation Studies. In Honour of Kinga Klaudy*. Budapest: Akadémia Kiado.